محمد السارتي
كاتب مغربي

أبناؤنا وقراءة القصص

تعتبر القراءة -بشكل عام- شرطا أساسيا للتعلم لدى جميع الأمم والشعوب في كل زمان ومكان، فقد حث عليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ (العلق:١)، فكانت أول آية نزلت على رسولنا الكريم، ولم تكن العرب والأمم الأخرى بمنأى عن هذا الشرط قبل الإسلام فقد حفظ لنا التاريخ أشكالا متعددة من النصوص مازالت تقرأ وتدرس إلى الآن.

ولم تخرج قراءة القصص عن هذا المنوال من التعلم، إذ تعتبر الجنس الأدبي البسيط والجميل الذي يسهل على الطفل فهمه واكتشاف معانيه بكل سهولة ويسر. ومن هذا المنطلق يعمد الدارسون وواضعو البرامج التعليمية في جل بلدان المعمورة إلى إدراج القصص القصيرة في التعليم الأولي، بل منذ عصور خلت ارتبطت الحكايات بالأطفال، خصوصا تلك التي تحكى من طرف الجدات قبل أن تحل محلها الوسائل الحديثة كالتلفاز وغيره.

وحتى الفترة الحديثة لا يمكن أن ندعي انفصال الطفل الصغير عن الحكايات والقصص المشوقة على اعتبار أن جل ما يشاهده من رسوم متحركة وأفلام وغيرها في الوسائل الإلكترونية الحديثة لا يعدو أن يكون في أصله سوى حكايات أو قصص تم تمثيلها بشخصياتها وزمانها ومكانها وكل خصائصها.

وقد يستفسر سائل عن سر ارتباط هذه القصص والحكايات بالأطفال كل هذا الارتباط، فنجيبه بأن عنصر التشويق الموجود في هذا الجنس الأدبي دون غيره من الأجناس الأخرى هو السر في إقبال الأطفال عليه، بالإضافة إلى سهولة لغة القصة واختصار معانيها وحكمها على عكس بعض الأجناس الأدبية التي يصعب على الطفل فهمها في الصغر كالشعر مثلا الذي يوظف اللغة المجازية والإيحائية.

ومما يعين الأطفال على قراءة القصص والاستمتاع أن يقوم الأب والأم بدورهما في تحفيز أبنائهما على القراءة وحثهم على تصفح القصص والحكايات: فمن المعروف أن الطفل يتأثر بوالديه في أول نشأته، وتأتي مكتبة البيت لتشكل حافزا

للطفل على القراءة، فإذا فتح الطفل عينيه على المنزل فوجد فيه مكتبة صغيرة فيها بعض الكتب والقصص والحكايات المشوقة فإنه يتصفحها ويتمي بها خياله ويذكي بها عقله، ثم يأتي دور المدرسة والمربين، فالمعلم الناجح هو الذي يستطيع بحنكته وطريقة تدريسه تحبيب القراءة إلى التلميذ من خلال حديثه عن القصص المشوقة داخل الفصل وسرد الحكايات التاريخية والأسطورية والخيالية والمغامرات التي يميل التلميذ إليها؛ مما يخلق لدى الطفل شهية لمعرفة المزيد أو إتمام حكاية بدأها الأستاذ داخل الفصل. ولا يمكن التغاضي عن أهمية مكتبة المدرسة، إذ لا يمكن أن نحبب لأبنائنا قراءة القصص ما لم نوفر لهم ما يقرأونه ويتصفحونه في أوقات فراغهم، وهنا نشير إلى الدور الذي تلعبه المكتبات المدرسية في إنماء الحس القرائي لدى الأبناء، خصوصا أن المدرسة تأتي في المرتبة الثانية من حيث التأثير على شخصيته بعد البيت.

كذلك تساعد الأندية الثقافية والأدبية داخل المدرسة في هذا الجانب، خصوصا أنها أندية تسير من طرف التلاميذ أنفسهم بإشراف من الأستاذ مما يحفز التلاميذ على مناقشة هذه القصص وتحليل صورها والرسوم الفنية المتضمنة فيها، بالإضافة الى تبادل أحداثها وأفكارها.

وللمجتمع دوره في تحبيب الطفل في القراءة، ويمكن أداء هذا الدور من خلال اصطحاب الطفل إلى مكتبات الحي، فرؤية الطفل للكتب والقصص منذ الصغر تولد لديه شغفا وحبا لقراءتها ومعرفة ما بداخلها، خصوصا أن الطفل يكون لديه فضول لاكتشاف المجهول وفك الألغاز ومعرفة الأحداث.

لذلك فإن المكتبات أصبحت من أهم وسائل التثقيف والتوعية، وإن كانت أقل وجودا في مجتمعنا للأسف الشديد، الأمر الذي يحتم علينا الاهتمام بنشر مكتبات الأطفال على أوسع نطاق في كل حي وفي كل قرية، بل في كل شارع إذا أمكن.

وعلى المستوى العام تفتح المعارض المحلية والجهوية والدولية أمام الأطفال، وعلى الأب تشجيعهم على إنشاء مكتبات خاصة بهم في منازلهم على غرار ما يرونه في المعارض، ثم إن المعارض تهتم بالقصص المؤلفة حديثا والتي تطبع لأول مرة ويخصص لها جناح خاص بها فيتطلع الطفل لمعرفة الجديد.

كما تقوم جمعيات المجتمع المدني ودور الشباب بدور من شأنه أن يحفز الطفل على القراءة كالفضاءات والمكتبات والأطر التربوية، خصوصا إذا كان المجتمع مثقفا وواعيا بأهمية القراءة في الصغر ودورها في تنمية العقل وتغذية الروح، فتنظم المسابقات حول القصص مما يحبب إلى الطفل قراءتها من خلال التحفيز الكبير الذي تعطيه للتلميذ ليس لكي يقرأ فحسب بل ليقرأ ويبدع في آن معا، إذ لا يمكن للطفل أن يشارك في المسابقة إلا بعد أن تختمر تجربته في القراءة ويصبح قادرا على أن يكتب القصة ببعض خصائصها الفنية والأسلوبية، إن لم يكتبها بكل الخصائص.

توصيات

البدء بقصص سهلة وقصيرة جدا أو ما يسمى بـ«الأقصوصة» والمرفقة بصور توضيحية.

التدرج شيئا فشيئا إلى القصص الأكثر طولا.

قراءة القصص والحكايات الطويلة (ألف ليلة وليلة، كليلة ودمنة...).

القصص الأجنبية المترجمة أو المكتوبة بلغتها الأصلية كالإنجليزية والفرنسية.

القيام بمحاولات إبداعية في كتابة قصص واقعية أو خيالية.